سَدُوس

بلدة تقع شمال غرب مدينة الرياض بحوالي ٧٠كم، على خط الطول ١٣َ ٤٦ْ شرقاً ودائرة العرض ٠٠َ ٢٥ْ شمالاً. ورد ذكرها في كتب الجغرافيين المسلمين باسم قرية وقُرَيّـة، وهي قرية بني سدوس بـن شيبان بـن ذهل بن ثعلبة. غـير أنها مع مرور الزمن أصبحت تعرف بسدوس فقط. ويبدو أنها كانت معروفة قبل الإسلام وكان بها منبر خلال العصر الإسلامي، وقصر من الحجر المـنحوت. ووصفت سدوس بأنهـا قرية جيدة، وهـي من أشهر قرى اليمامة وأرضها خصبة.

ووصفها أحد الجغرافيين بقوله «تشرف عليها تقول: لو أطبق عليها ترس غَطَّاها، ثم لَوْ وَرَدَتْها ألف راحلة ما تبين ما يخرج منها». وهذا دلالة على أن سدوس كانت بلدة متقاربة في بنائها بحيث تبدو من بعد صغيرة في مساحتها. ويفـهم من المصادر أنها كانت أحد المنـازل التي تربط اليمامة بالأقاليم الأخرى في الجزيرة العربية. كما يبدو أن سدوس كانت محطة على طريق القوافل في فترة ما قبل الإسلام. فقد شاهد فيها بعـض الرحالة الأوروبيين في القرن التاسع عشـر الميلادي أبنية قديمة بـالقرب من البـلدة كان يظن أنهـا من آثار حمير وأبنية التابعة. ومن جملة الأبنية التي كانت قائمة، شاخص كالمنارة وعليه كتابات كثيرة منحوتة في الحجر ومنقوشة في جدرانه. غير أن أهل بلدة سدوس هدموا تلك المباني عندما شاهدوا زيارة السياح الأجانب لها. ولا يُعْرف شـيء عن تاريخ سـدوس في العصور الإسلامـية المتأخرة، ولكن يبدو أن البلدة كانت قائـمة في منتصف القرن التاسـع الهجري، إذ إن حسـن بن طوق جد آل معمر تملك في هذه الـفترة منطقة سدوس والجبيلة والعيينة إلى جانب موضع حريملاء. كما كان لسدوس دور بارز في

قلعة سدوس

الأحداث التي شهدتها نجد. وقد نشأت البلدة وتطورت في نطاق سور حماية وأبراج دفاع ومراقبة، بالإضافة إلى أبراج المراقبة الواقعة على المرتفعات القريبة من البلدة.

وما تزال بلدة سدوس القديمة باقية للعيان تحكي قصة الماضي من الناحيتين التاريخية والحضارية. فالبلدة مستطيلة الشكل تمتد من الشمال إلى الجنوب، يبلغ طول أسوارها: الشمالي ٥٣م والجنوبي ٨٣م، والغربي ١٢٢م والشرقي ١٢٢م. وقد زود السور بأبراج حماية شبه دائرية في زواياه.

وقد حدث توسع في المباني خارج نطاق السور في فترات لاحقة من الجهتين الغربية والجنوبية الشرقية. وتقع البوابة الرئيسية في منتصف الضلع الجنوبي للسور، ويمتد منها طريق رئيسي يتجه بشكل شبه مستقيم حتى نهاية السور الشمالي بحيث يفصل البلدة إلى قسمين: شرقي وغربي. وتتصل بالطريق الرئيسي الممرات والأزقة المتعرجة. وقد بنيت منازل المدينة من أساسات حجرية وجدرانها باللَّبِن، واستخدمت جذوع الأشجار في التسقيف، والجِصّ في زخرفة الغرف من الداخل. وتتكون معظم المنازل من دورين، وتختلف مساحاتها من منزل إلى آخر. وتتصل بعض الدور في الأدوار العلوية بحيث يمر من تحتها الطريق الرئيسي والأزقة والممرات. وللبلدة مسجد جامع في الجهة الجنوبية، صُمم بطريقة غير منتظمة في الأبعاد بسبب المساحة

المتاحة للبناء، ويشتمل على وحدتين، هما الخلوة، وتستخدم للصلاة في مواسم الشتاء، والمسجد الأصلي، وهو الذي يشكل المساحة الكبرى، وله منبر ومحراب مجوف. وللمسجد مئذنة مربعة الشكل تتسع عند القاعدة وتضيق في الأعلى، وترتفع إلى حوالي ٨,٦٠م. ويبدو أن المسجد مرّ بمراحل من التجديد كان آخرها سنة ١٣٣٥هـ.

وروعي في تخطيط البلدة وبنائها توفر الحماية الأمنية. فالسور يصل ارتفاعه إلى حوالي ستة أمتار وله نوافذ تطل على الخارج، ومزاغل للرماية. أما الأبراج الدائرية فيصل قطر الواحد منها عند القاعدة إلى حوالي ستة أمتار، وعند القمة حوالي ٣,٥م، ويصل ارتفاع البرج حوالي تسعة أمتار. ولكل برج شرفات عند القمة ومزاغل للرماية.

وتشتمل البلدة أيضاً على مرافق وخدمات أخرى كثيرة. وتمثل آثار سدوس الباقية نموذجاً فريداً من نوعه في نمط تخطيط المدن وسط الجزيرة العربية ونمط الفنون البنائية والزخرفية والتعايش مع البيئة.

وغرب بلدة سدوس بحوالي ٥,٣٢كم في بطن أحد الشعاب في جهتها الجنوبية، على خط الطول

أحد الأبراج الدائرية بسدوس

٠٩ َ٤٦ْ شرقاً ودائرة العرض ٥٨ َ٢٤ْ شمالاً، توجد مجموعة من النقوش القديمة المعروفة بالخط الثمودي، وهي تعود إلى أكثر من ألفي عام تقريباً، نقشت على صخرة رسوبية كبيرة الحجم ملقاة على سطح الأرض قد غطت الأتربة جزءاً منها، وتقدر مساحة الصخرة بنحو ٢,٦٠×١,٧٧م تأخذ في الميل في الجهة الغربية منها، وقد انطمست بعض الحروف المنقوشة على الصخرة بسبب تأثير العوامل المناخية عليها، ومن أشكال الأحرف ومعانيها يتضح أن النقوش تتضمن أسماء لبعض الأعلام.

أدوات حجرية من موقع نقوش سدوس

ويشاهد بالقرب من الصخرة بعض الكهوف ووحدتان معماريتان في الجهة الشمالية الشرقية، على بعد ١٠٠م من موقع النقوش على ضفة الشعيب، وهي مبنى دائري قطره ٢,٥٠م، لم يبق إلا أساساته، وارتفاع ما بقي منه ٤٠سم، ومذيل صغير طوله ٢,٥٠م، ويبلغ رأسه مترين، وهو متساقط، ويوجد حول المبنى أدوات حجرية تعود إلى أكثر من عشرة آلاف سنة.

السِّرِّين

تقع مدينة السرين الأثرية على بعد ١١كم تقريباً إلى الجنوب من قرية الوسقة المعروفة حالياً على الطريق الساحلي بين مكة المكرمة وجازان بمنطقة مكة المكرمة على خط الطول ٣٧َ ٤٠ْ شرقاً ودائرة العرض ٤٠َ ١٩ْ شمالاً. وهي تعرف بين الأهالي باسم المصنع والمصنعة، أو قرية بني كبري.

كانت السرين، رغم قلة ذكرها في المصادر التاريخية، من الموانئ الحجازية المهمة على ساحل البحر الأحمر. وكانت -بعد جدة- تشكل ميناء ثانياً لمنطقة مكة المكرمة يخدم الأجزاء الجنوبية من المنطقة، ويفي بحاجتها من حركة الصادرات والواردات. ولم يبق من هذه المدينة، عند الاقتراب منها، أو التجول بين

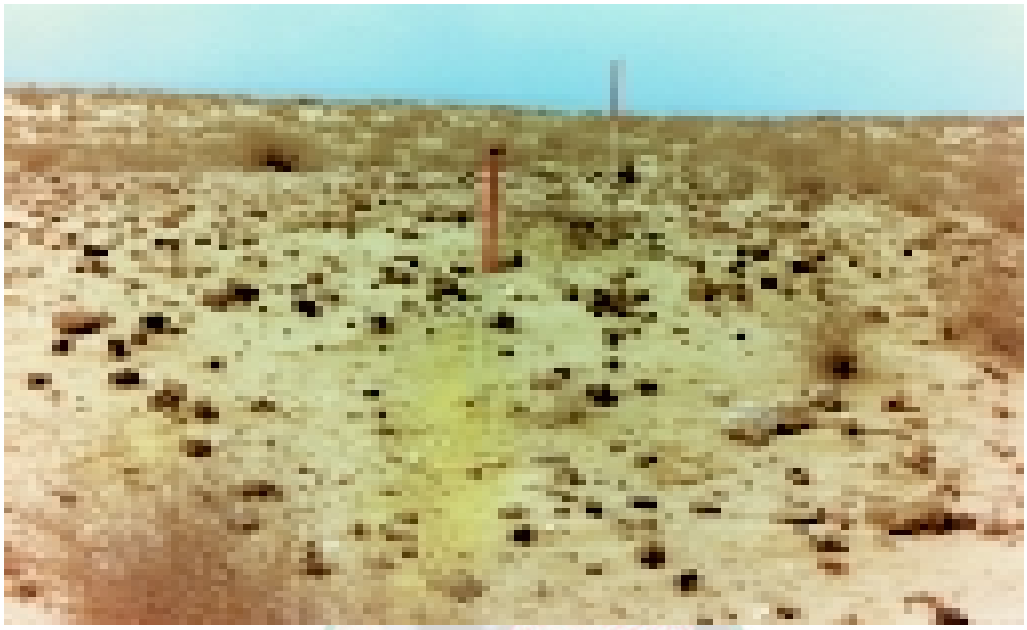

منظر عام لموقع السرين

رسومها الدارسة، إلا بقايا البناء وكسر الفخار، وفتات الزجاج والأصداف، وبعض أطراف شواهد القبور المطمورة تحت التراب.

ازدهرت مدينة السرين في الفترة الممتدة من القرن الثالث إلى حوالي منتصف القرن الثامن الهجري. ومن أسباب ازدهارها أنها كانت بوابة بحرية ثانية لمكة المكرمة، وامتاز ميناؤها بحركة بحرية نشطة مع الحجاز واليمن، وبعض الموانئ على الساحل الشرقي لأفريقيا. كما كانت ملتقى لطرق الحج اليمني إلى مكة المكرمة في عصر ازدهارها، ومقراً لوالي الإقليم من قبل أمير مكة المكرمة الذي كان يسيطر على منطقة مهمة، جبلية وسهلية. وقد اشتهرت بخصوبة أرضها، وجودة زراعتها ومراعيها، حتى أصبحت رافداً اقتصادياً مهماً لمدينة مكة المكرمة مما جعل أمراءها لا يولون عليها إلا أقاربهم أو ذوي ثقتهم.

ويمكن الوصول إلى أطلال ميناء السرين عن طريق الوسقة، وهي محطة على الطريق الساحلي المزفت بين مكة المكرمة وجازان، وتقع على بعد ٢٣٠كم من مكة المكرمة. ومن الوسقة يمكن الاتجاه إلى الجنوب الغربي عبر طريق بري رملي، لا يلبث أن يدخل إلى سبخة رخوة يصعب سلوكها حتى ينتهي بعد

حوالي ١١كم، إلى تلال رملية شهباء لا يوجد عليها أي بناء سوى كوخ متهدم، لعله كان يستخدم من قبل صيادي الأسماك، أو خفر السواحل الذين لا يبعد مقرهم الجديد كثيراً عن هذا الموقع. وبين هذه التلال الشهباء، توجد المخلفات الأثرية لمدينة السرين، وهي تتمثل فقط في بعض التلال الرملية التي تخفي تحتها ما بقي من أبنية المدينة. ولا يشير إلى وجود هذه الأبنية إلا بعض الأحجار المتناثرة هنا وهناك، أو كسر الطوب الأحمر، أو بعض الأساسات التي كشفتها الرياح.

وقد توصلت المسوحات الآثارية للموقع إلى وجود ستة تلال متجاورة، رمز لها بالحروف (أ، ب، ج، د، هـ، و) في سجلات إدارة الآثار والمتاحف، بالإضافة إلى مقبرتين تقعان إلى الشمال من المنطقة السكنية، أطلق على الأولى اسم المقبرة الشمالية، وعلى الثانية اسم المقبرة الجنوبية، لوقوعها تقريباً إلى الجنوب من الأولى. ويقع إلى الشرق من التلال والمقبرتين بحوالي ٦٠٠م، تل صغير، على حافة مجرى وادي حلية، يعتقد بأنه بقايا لصهريج كان يتجمع فيه الماء، لإمداد المدينة ببعض حاجتها من المياه.

يتكون الموقع المشار إليه بالحرف أ من تل صغير تتناثر فوق سطحه مخلفات البناء من الصخور المرجانية، وكسر الطوب الأحمر التي توحي بوجود منشآت تحتها. وللتأكد من ذلك، تم عمل مجس صغير أمكن بواسطته الكشف عن جدار طوله ٤م، وسمكه ٦٠سم، وهو مبني من نوع الحجارة الظاهرة على السطح، ومطلي بالنورة من الجهة الجنوبية، بينما تظهر حشوات البناء التي قوامها الحجارة الصغيرة والمتوسطة من الجهة الشمالية. وهذا الموقع هو أغزر المواقع رمالاً مما تعذر معه رؤية أي شيء من بقايا المصنوعات الخزفية والزجاجية، وغيرها من كسر الآنية الفخارية.

أما الموقع المشار إليه بالحرف (ب) فهو أساسات لمبنى يتخذ شكلاً شبه دائري، تظهر في وسطه بقايا لا حصر لها من قطع الآجر الأحمر التي ترقد تحتها طبقة كثيفة من مسحوق الطوب الأحمر، مما يدعو إلى الاعتقاد بأن الموقع يمثل مكان الحرق لقوالب الطوب الأحمر. وهو نموذج لعدد من أماكن الحرق البدائية التي عرفت بها المنطقة حتى اليوم.

وفيما عدا منطقة مكان الحرق، فإن جميع النقاط الأخرى في الموقع تحمل

سمات متشابهة، من جهة أنها كانت أحياء سكنية، تظهر على أرضياتها بقايا البناء، من الأحجار المرجانية، والطوب الأحمر، والمخلفات الأخرى التي تدل على الاستيطان، مثل كسر الفخار ذات الألوان المختلفة والخزف والزجاج والخرز والأصداف ونحوها.

أما المقابر فتقع إلى الشمال من الحي السكني، وأهم ما وجد فيها عدد من شواهد القبور التي بلغ عدد ما كشف عنه حتى الآن نحو ٥٠ شاهداً. وهي تحمل كتابات كوفية رائعة، يعود المؤرخ منها إلى القرون الرابع والخامس والسادس للهجرة. كما وجد في المقبرة الشمالية بقايا أساسات عمرانية يتكون معظمها من الأحجار المقطوعة من الشعاب المرجانية التي تشكل غالب مادة البناء في السرين.

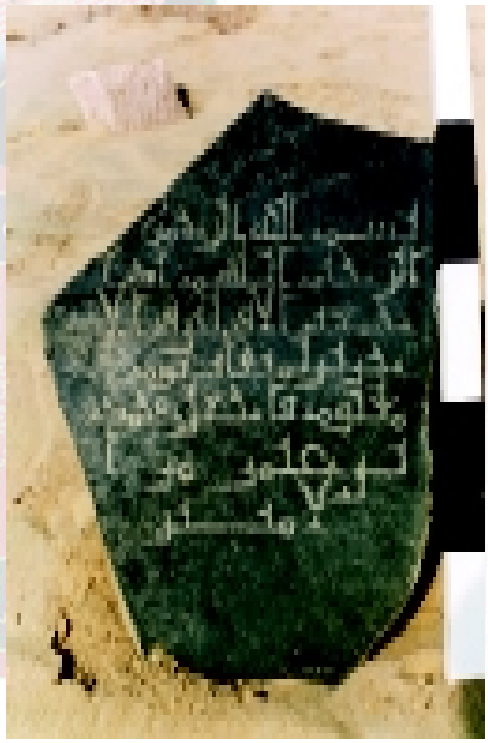

أحد شواهد القبور المنقوشة من مقبرة السرين باسم محمد بن عثمان. القرن ٣هـ-٩م - موقع السرين

ولم يعثر في موقع السرين على دليل واضح يشير إلى مكان الميناء، مع أن المصادر أشارت إلى وجوده وإلى حصانة موقعه ونشاطه التجاري. غير أن المسح الآثاري يرجح أن الميناء ربما كان موقعه في المنطقة الممتدة إلى الجنوب الغربي من الحي السكني بحوالي ٣٠٠م. ولهذا الترجيح ما يُسوِّغه، فقد أشارت المصادر إلى قرب المدينة من البحر، وملاصقة سورها له، هذا إلى جانب ما يلاحظ من غزارة الماء في هذه البقعة، وعدم تأثرها بحركة المد والجزر بجانب حصانة موقعها. فالتل الصخري الواقع إلى الشمال الغربي منها يشكل حاجزاً قوياً لصد الرياح العاتية عن السفن الراسية في الميناء، إلى جانب الأدلة المادية المتمثلة في كثرة الصخور المرجانية، وكسر الطوب الأحمر، وبعض الأحجار القليلة المجلوبة من المنطقة الجبلية التي يعتقد بأنها كانت تشكل رصيف الميناء.

سكاكا

تقع سكاكا في منطقة الجوف على خط الطول ١٢َ ٤٠ْ شرقاً وخط العرض ٥٩َ ٢٩ْ شمالاً. ووردت أقدم إشارة إليها عند ياقوت الحموي الذي أشار إلى أن سكاكا إحدى القريات التي منها دومة الجندل وعليها سور، لكن دومة الجندل ربما كانت أكثر تحصيناً. ويلاحظ أن عدم ذكر المصادر الإسلامية المبكرة لسكاكا محصلة لاهتمام تلك المصادر بالمدينة الرئيسية في المنطقة في تلك الحقبة، وهي دومة الجندل التي كانت سكاكا تابعة لسلطانها.

تؤكد الشواهد الأثرية المنتشرة في المدينة وحولها ازدهار سكاكا خلال عصور ما قبل الإسلام. ويدل على ذلك وجود بئر قديمة في شمال المدينة منحوتة في الطبقة الصخرية، تسمى بئر سيسرا.

بئر سيسرا: تقع على مسافة ٣٠٠م تقريباً إلى الغرب من قلعة زعبل، على السفح الشرقي لسلسلة مرتفعات الصخور الرملية الواقعة غرب قلعة زعبل. وتعد بئر سيسرا من أبرز آثار مدينة سكاكا، نظراً لتفردها وطرازها المميز.

حفرت البئر في طبقة من الحجر الرملي بطريقة متقنة، وفتحتها شبه مستطيلة، وتبلغ أبعادها ٨م من الشمال إلى الجنوب، و٧م من الشرق إلى الغرب. أما عمقها الحالي فيبلغ ١٥م. وأبرز ما يميز سيسرا درج داخلي حفر في الصخر الطبيعي، عدد درجاته ٢٩ درجة، ويلتف بشكل حلزوني على السطح الداخلي للواجهتين الشمالية والشرقية. والدرجات السبع عشرة العلوية متآكلة ويصعب استخدامها، أما الدرجات الاثنتا عشرة السفلية فحالها أفضل. وربما يكون السبب في تآكل الدرجات العلوية كثرة استخدامها، أما الدرجات السفلية فربما كانت مغمورة

بئر سيسرا – سكاكا

تحت الماء عندما كان مستوى الماء في البئر مرتفعاً مما أدى إلى حمايتها. ويوجد في الجزء السفلي من البئر تجويف يمتد أسفل الواجهة الشرقية، مما يشير إلى احتمال ارتباط سيسرا بقناة مائية، وهو أمرٌ لا يمكن في الوقت الراهن تأكيده أو نفيه.

وأشارت بعض المراجع التي تحدثت عن البئر إلى أنها ترتبط بقناة تمتد باتجاه الشرق، وتصل قريباً من المنطقة الصناعية الحالية، ولا يقف هذا الرأي على أرض صلبة من الأدلة الأثرية بل يعتمد على روايات يرددها بعض سكان المدينة.

وقد سكتت المصادر المكتوبة عن ذكر هذه البئر، على الرغم من أنها كانت مستخدمة ولم تعطل إلا قبل وقت ليس ببعيد. وقد ورد أول ذكر مدون لهذه البئر لدى وينت Winnet وريد Reed اللذين زارا المنطقة سنة ١٩٦٢م، وأوردا وصفاً مختصراً لها. ونمط نحت البئر، ووجود درج داخلها يماثل تماماً بئراً اكتشفت في موقع الجيب (جيبون القديمة) في فلسطين، إذ نحتت كلتا البئرين بطريقة واحدة، وتكادان تتماثلان تماماً، لكن فوهة بئر الجيب أكثر اتساعاً، وبئر سيسرا أكثر عمقاً. وقد كانت بئر الجيب مدفونة ضمن الموقع الأثري وعند حفرها عُثر بداخلها على مواد أثرية تعود للقرن السادس قبل الميلاد. وهذا التاريخ يمثل الفترة التي عطلت فيها بئر الجيب، مما يعني أن تاريخها الفعلي يعود إلى ما قبل القرن السادس قبل الميلاد. ووضع بئر سيسرا، على الرغم من التشابه التام بينه وبين بئر الجيب مختلف لعدم عثورنا على مواد أثرية داخلها أو في محيطها المباشر، ولكن مع كل هذا فإن بئر سيسرا تؤرخ لفترة قديمة تسبق الإسلام، وإن كنا لا نستطيع في هذه المرحلة نسبتها إلى فترة منتصف الألف الأول قبل الميلاد. وقد عثر في سفح الجبل الذي تقوم عليه قلعة زعبل على كسر من فخار، أرخ بمنتصف الألف الأول قبل الميلاد. وهذا الدليل يؤكد وجود استيطان في المدينة خلال تلك الحقبة التي من المحتمل أن البئر تعود إليها.

ويُعزى ضياع الموقع القديم لمدينة سكاكا لاستمرار السكنى المتواصلة فيه، مما أدى إلى تجديد مباني المدينة خلال مراحلها المختلفة. وهذا العمل أدى بدوره إلى طمر الطبقات الأثرية القديمة تحت منشآت المدينة الحديثة، وهو ما يحدث غالباً للمدن التي تتطور بشكل رأسي.

وتتجلى أهمية هذه البئر في أنها تمثل جانباً من خصائص حضارة الجزيرة

العربية، التي تميزت بقدرتها على التغلب على شح المياه، وتطوير نظام هندسة للمياه مكّن سكانها من بناء حضارة تضاهي تلك الحضارات التي قامت على ضفاف الأنهار والبحيرات. وتُعد هذه البئر دليلاً حياً على قدرة سكان الجزيرة العربية على التغلب على الظروف الطبيعية الصعبة التي كانت المياه أبرز عقباتها.

وحول هذه البئر وعلى سفح الجبل الذي تقوم عليه قلعة زعبل عُثر على فخار قديم يعود أقدمه إلى منتصف الألف الأول قبل الميلاد. كذلك تنتشر حول مدينة سكاكا نقوش نبطية ومخربشات عربية شمالية قديمة يصل عددها إلى أكثر من مائتي نقش، مما يشير إلى حركة سكانية ونشاط استيطاني في هذا الموقع، خاصة وأن المدينة تقع على أحد مسارات قوافل التجارة القديمة. وإلى الشمال الغربي وعلى مسافة ١٢كم تقريباً من سكاكا يوجد موقع قيال، وهو حامية نبطية.

قلعة زعبل: على الحافة الشمالية لسكاكا تقع قلعة زعبل المطلة على المدينة من فوق مرتفع صخري. وهذا الموقع المميز والمحصن للقلعة جعل منها نقطة مراقبة ممتازة تمكّن المدافعين عن المدينة من رؤية الأعداء من مسافات بعيدة.

وقد شيدت هذه القلعة على قمة جبل مخروطي من صخور الحجر الرملي. وهذا المرتفع مفصول عن سلسلة المرتفعات الصخرية التي تحف بالمدينة من الجهة الشمالية والشمالية الغربية. ويأخذ المسقط الأفقي للقلعة شكلاً غير منتظم بسبب بناء القلعة على قمة الجبل، ومن ثمّ أخذت القلعة الشكل غير المنتظم للقمة، حيث بنيت الجدران الخارجية للقلعة لتشغل كامل المساحة المسطحة لقمة الجبل. وترتفع القلعة عن مستوى سفح الجبل حوالي ٢٥م، وهذا بحد ذاته يمثل أبرز مميزاتها، إذ يصعب الوصول إلى القلعة بسبب ارتفاعها الشاهق، وصعوبة تسلق الجبل إلا من جهة واحدة وهي الجهة الجنوبية التي يمكن الصعود منها إلى مدخل القلعة عن طريق ممر متعرج وصعب.

ويمثل المخطط العام للمبنى شكلاً غير منتظم طوله ٥٠م وعرضه يتراوح بين ١٧-٢٠م. وقد حُصّنت أركان القلعة بأربعة أبراج مستديرة تختلف في أحجامها كما تختلف في أطوال أضلاع الواجهات الأربع للمبنى إذ تأخذ شكلاً متعرجاً يتبع شكل القمة الطبيعية للجبل. ويتكون مسقط القلعة الداخلي من ساحة مكشوفة تحيط بها أسوار القلعة وأبراجها الأربعة.

قلعة زعبل وأحد أبراجها – سكاكا

وتتوسط الجزء الشمالي من الساحة غرفة مستديرة بُـنيت فوق صخرة ترتفع عـن مستوى أرضية القلعة، ولذلك ترتفع هذه الغرفة عن مستوى أبراج القلعة، مما يشير إلى أنها ربما استخدمـت للمراقبة، إلى جانب الأبراج الأربعة.

وقد بنيت القـلعة من الحجر الرملي المتوافر في بيئة سكاكا. فبنيت الأساسات من الحـجر لارتفاع مـتر واحد. وبُنـيت الأجزاء العلـوية من الجدران من الطوب (اللَّبِن) بطريقة بسيطة وغير متقنة. وكان لتحـصين القلـعة الطبـيعي دور في قلـة الاهتـمام بالبـناء وإتقانـه نظراً لصـعوبة اقتحامـها والوصول إليها. ومـن أهم ما تتميز به القلعة أنها تكشف المناطق المحيطة بالمدينة، إذ يستطـيع المدافعون عن المدينة مراقبة محـيط سكاكا وكشف أي تهـديد تتعرض له المدينة قبل وصول الأعداء إليها.

والقلعة محاطة بسور يتصل بالأبراج الأربعة، شيدت أساساته بالحجر الرملي حتى ارتفاع متر واحد تقريباً. أما الأجزاء العلوية للجدار فقد بنيت باللَّبِن. والأبراج الأربعـة ذات شكل مـستدير وأحـجام متقاربة، ما عدا البرج الجنوبي الملاصق للمدخـل فهو أكبر حجمـاً من الأبراج الثلاثة الأخرى. ويتكون الجزء الداخلي للأبراج مـن مستويين، يفـصل بينهمـا سقف من خشب الأثل وسعف النخيل. ويتخلل هذا السقف فتحة تسمح بالصعود إلى المستوى العلوي للبرج.

إن تاريخ بناء قلعة زعبل أكثر جوانبها غموضاً، إذ لم تـتوافر بين أيدينا حتى

الوقت الحاضر أدلة مكتوبة تحدد التاريخ الدقيق لبناء القلعة. وقد ورد في كتاب مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية الذي نشرته الإدارة العامة للآثار والمتاحف، أن القلعة بنيت منذ ١٢٠ سنة فقط، ولم تدعم ذلك بالأدلة التي استندت إليها في تقدير هذا التاريخ. هذا وقد أشار ياقوت الحموي في المعجم في سياق حديثه عن سكاكا «إلى أنها إحدى القريات التي منها دومة الجندل، وعليها أيضاً سور لكن دومة أحصن». وهذه المعلومة التي أوردها ياقوت في بداية القرن السابع الهجري تؤكد أهمية المدينة والاهتمام بتحصينها، إذ إن وجود الأسوار ربما يؤكد أن القلعة كانت جزءاً من تلك التحصينات. والأدلة الأثرية المتاحة في محيط القلعة مثل الآبار القديمة والكتابات الأثرية، إضافة إلى العثور على فخار على سفح الجبل الذي تقوم عليه القلعة، أُرِّخ أقدمه بالقرن السادس ق.م، وأحدثه بالعصر العباسي، القرن الثالث-الرابع الهجريين. وفي عام ١٨٤٥م زار جورج أوغست فالين Wallin منطقة الجوف، وذكر في سياق حديثه عن سكاكا أن بها قلعة قديمة تسمى زعبل. إن تاريخ قلعة زعبل أقدم بكثير مما يُعتقد، وربما يعود لعصور تسبق الإسلام، لكن تنقصنا الأدلة الآثارية التي ربما تظهر عندما تبدأ دراسات آثارية موسعة.

وقد عثر في المرتفعات الصخرية المحيطة بسكاكا من الجهتين الغربية والجنوبية الغربية، على عدد من الكتابات الإسلامية، وبعض هذه الكتابات مؤرخة بالسنوات ١٨٤، ١٨٦، ٥١٨، ٦٤٤هـ.

وكل هذه الأدلة الآثارية تؤكد قدم مدينة سكاكا وأهميتها بوصفها مركزاً من مراكز الاستيطان المهمة في شمال الجزيرة العربية.

قلعة قدير: وهي جنوب الطريق المؤدي من مطار الجوف إلى مدينة سكاكا، في منتصف المسافة بين قارا والطوير، وتبعد عن الطريق بمسافة ٢٠٠م. وقد شيدت القلعة على مرتفع صخري تحيط به سلسلة من الجبال العالية من الجهة الغربية. أما من الجهات الشمالية والشرقية والجنوبية فأرض منبسطة

قلعة قدير – سكاكا

ومنخفضة حيث تشرف هذه القلعة على الجهات الثلاث بفضل موقعها.

وبنيت القلعة على شكل شبه مثلث حسب ارتفاع وانخفاض التل الصخري الذي أقيمت عليه، حتى أخذت شكلاً غير منظم، وتطل هذه القلعة من الجهة الغربية على بلدة قارا، وقد شيدت من الحجر الرملي، ويبلغ طول الواجهة الشمالية حوالي ثمانية أمتار حيث يقع برج القلعة في الزاوية الغربية وقد تهدمت بعض أجزائه. والجهة الجنوبية تلتقي بالجهتين الغربية والشرقية بشبه زاوية، والواجهة الشرقية التي تطل على بلدة قارا فيها المدخل المؤدي إلى البرج. وبرج القلعة مربع الشكل يقع في الزاوية الشمالية الغربية للمبنى.

ويرجع تاريخ القلعة إلى الأول من شهر محرم سنة ٥١٨هـ. وتنتشر في الموقع العديد من الكتابات بالخط الثمودي والخط الكوفي والرسوم الصخرية، إضافة إلى الكسر الفخارية.

السلَيِّل

تقع مدينة السليل على خط الطول ٣٢َ ٤٥ْ شرقاً ودائرة العرض ٢٨َ ٢٠ْ شمالاً في محافظة السليل بمنطقة الرياض، ويمر بها وادي الدواسر بعد أن يخترق جبال طويق. والسُّلَيِّل اسم يطلق على الأماكن التي تتجمع فيها الأودية وتكثر فيها الأشجار. ولعل أصل التسمية عائد إلى كونها ملتقى لعدد من أودية سفوح جبال طويق الغربية. وربما كانت المنطقة تعرف في العصور القديمة باسم السُّلاَّن، وهو الاسم الذي يطلق على المنطقة ذات الأودية الكثيرة والمسايل المتعددة.

ويعتقد أن المنطقة شهدت يوماً من أيام العرب في الجاهلية عُرف باسم يوم السُّلاَّن الذي كان طرفا نزاعه، بني عامر، بقيادة أبي براء عامر بن مالك ملاعب الأسنّة، وجيش النعمان بن المنذر اللخمي، المكون من بعض حرسه وجنوده من الفرس، وجمع من قبائل الجزيرة العربية، بقيادة أخيه لأُمّه وبرة الكلبي. وعندما التقى الجيشان انهزم جيش المنذر أمام بني عامر وأُسر قادته.

والدراسات الآثارية عن المنطقة قليلة، ولا يشتمل ما نشر منها على شيء مفصل. وربما كان أول أوروبي سجل معلومات ميدانية عن السليل في العصر الحديث هو جون فيلبي Philby، الذي مر بالموقع سنة ١٩١٨م إبان رحلة قام بها من الرياض إلى وادي الدواسر، ونشر تقريره عن تلك الرحلة في المجلة

الجغرافية الملكية البريطانية سنة ١٩٢٠م بعد أن نشره في القاهرة سنة ١٩١٩م على نطاق محدود، ثم أضافه سنة ١٩٢٢م إلى كتابه قلب الجزيرة العربية.

وفي سنة ١٩٧٨م زار المنطقة فريق من إدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف كان ينفذ مسحاً ودراسة ميدانية لجنوب منطقة الرياض، ابتداءً من مدينة الرياض وما حولها حتى محافظة وادي الدواسر. وأرفق الفريق في تقريره المنشور بعض المعلومات التي تشير إلى وجود العديد من المواقع الأثرية السابقة لظهور الإسلام، والتي منها مجموعات من مواقع العصر الحجري الحديث، إذ اكتشفت الأدوات والأسلحة العائدة لذلك العصر، مثل رؤوس الرماح والحراب والمخارز والمثاقب وغيرها، كما اكتشف ما يقرب من عشرة مواقع تنتشر على منحدر من منحدرات جبال طويق، يمتد ما بين بلدة تمرة ومدينة السليل. وتحتوي تلك المواقع على منشآت مذيلة، منها ما هو ضخم جداً، بالإضافة إلى مدافن ركامية تصاحب تلك المنشآت. كما أشار التقرير إلى مستوطنة تعود إلى الفترة السابقة للإسلام واللاحقة لميلاد المسيح عليه السلام، وتقع متاخمة لبلدة تمرة بالقرب من مدينة السليل.

وفي المحافظة ثلاثة أودية هي: بوين، والحسي، والبكرة، ويطلق عليها جميعاً اسم أسفل وادي الفاو. وتنتشر على واجهات الأودية الثلاثة نقوش قديمة كتبت بالخط المسند، وهي من النوع المحزوز. وقد تعرضت لعوامل التعرية إلا أنها ما تزال باقية ويمكن نسخها وتصويرها. وبالنظر إلى صور تلك النقوش يتبين أنها ذات مدلولات مختلفة، فمنها المكتوب بثلاثة أحرف روعي فيها كبر حجم الحرف وإتقان الكتابة التي ربما كانت تدل على شيء مميز، ويتكرر وجودها في أكثر من موضع بالحروف نفسها وطريقة الكتابة ذاتها. كما يوجد نمط آخر وهو نقش مكون من سطر أو سطرين، ولكنه مكتوب داخل إطار بيضاوي الشكل، ويتكرر وجوده في أكثر من موضع. أما النمط الثالث فهو نقوش بسيطة مكونة من سطر أو أكثر، ويختلف طولها وإتقان كتابتها من موضع إلى آخر.

وتشتمل المحافظة على عدد كبير من الكهوف، وهي من الحجم المعتاد للكهوف الجبلية. فتتراوح أبعادها بين ثلاثة وستة أمتار. وكانت الكهوف مأوى للإنسان في عصور غابرة.

وتوجد سبع مقابر في الأطوى تشغل المقبرة الواحدة منها مساحة واسعة. ويبدأ

وجود تلك المقابر على مسافة كيلومتر واحد من مدينة السليل، وكلها تقع ضمن مسافة خمسة كيلومترات عن السليل. وطبقاً لرواية الشيوخ المسنين فإن تلك المقابر لا تمت بصلة إلى من يعيشون في المنطقة في العصر الحالي، ويبدو أنها تعود إلى فترة من العصر الإسلامي، استنتاجاً من اتجاه القبور ناحية القبلة، بالإضافة إلى نمطها الذي يعود إلى نمط المقابر الإسلامية المعتادة.

سِهِي

تُعَدّ سِهِي من المواقع الأثرية المهمة في أقصى الزاوية الجنوبية الغربية من المملكة في منطقة جازان على خط الطول ٤٥َ ٤٢ْ شرقاً ودائرة العرض ٣٠َ ١٦ْ شمالاً، وتقع على بعد حوالي ٧٠كم من مدينة جازان. وهي موقع ساحلي قديم يعود الاستيطان فيه إلى ما قبل الميلاد بمئات السنين. وعلى الرغم من الأهمية الأثرية لموقع سِهِي، وطول فترة الاستيطان به، وامتداده على مساحة واسعة من التلول الأثرية، فإنه لم يذكر في المصادر العربية المبكرة. غير أن اسم سهي ورد مرتين عند ياقوت علماً لموضعين يردان في الشعر: مرة بكسر السين، وسكون الهاء «سِهْيٌ» على وزن «عِجْل»، ومرة أخرى بضم السين وفتح الهاء «سُهَيّ» على وزن «عُلَيْ» (تصغير عَلي)، إلا أن ياقوتاً لم يحدد مكان هذين الموضعين، ولم يشر إلى موقعهما في أي مكان من جزيرة العرب.

كما أن موقع سهي لم يكن له نصيب مما كتبه الجغرافي السعودي العقيلي عن الآثار التاريخية في منطقة جازان، إلا أنه أشار إشارة مقتضبة في معجمه الجغرافي للمنطقة، إلى مكان يقرب من هذا اللفظ، هو السّهي بالتعريف، إذ يذكر أن السهي من قرى وادي تَعْشَر. وتعشر من الأودية المعروفة في جنوبي منطقة جازان، وهو مشهور في كتب الجغرافيا العربية، وهو الذي عناه الشاعر بقوله:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة
بتعشر بين الأهل والركوان

ولم يحدد تقرير الإدارة العامة للآثار والمتاحف بوزارة المعارف، موضع سهي تحديداً دقيقاً، ولم يربطها بأي معلم جغرافي معروف سواء أكان وادي تعشر أو سواه، ولكن عند تناوله دراسة المظاهر الجيومورفولوجية الإيكولوجية أشار التقرير إشارة عارضة إلى ثلاثة وديان تلتقي معاً وتصب في دلتا وادي لِيا [كذا]. وبالرجوع إلى العقيلي اتضح

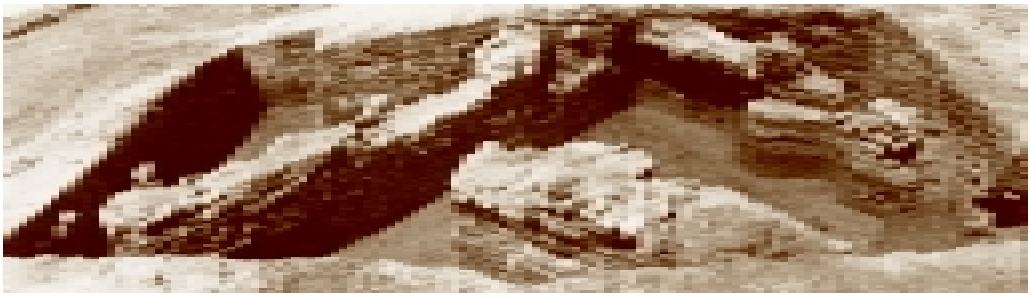

حفرية في موقع سهي

أن لِيَة وادٍ يقع في جنوب منطقة جازان، وأنه يلتقي بوادي تعشر غربي قرية الحُذْرُوْر، بالقرب من مدينة صامطة المعروفة في تلك المنطقة. ومن هنا يتضح أن موقع سهي الأثري قريب من وادي تعشر المشار إليه، وأن قرية السهي التي ذكرها العقيلي وثيقة الصلة باسم سهي ذات الموقع الأثري القديم، كما أنها ليست الشَّرْجَة، الموقع الأثري الإسلامي المعروف الذي يبعد عن سهي بحوالي ٤٠كم إلى الجنوب، مما يلي ساحل مدينة الموسم بالقرب من حدود المملكة العربية السعودية مع الجمهورية اليمنية.

تعد سهي من أغنى المواقع الأثرية القديمة في جنوب غرب المملكة، ومن أقدمها استيطاناً. وهي تمتد على مساحة واسعة بمحاذاة ساحل البحر الأحمر، وتفصلها عنه مسافة تتراوح بين ٢٥-٢٠٠م تقريباً. وموقعها تلال أثرية مستطيلة الشكل، مكونة في الأساس من أكوام المحار، والأصداف البحرية. وتبلغ مساحة الأجزاء الظاهرة منها والتي لم تزحف عليها الرمال، ٩٠٠م×١٠٠م، وتكسو سطحها كميات غير قليلة من الأحجار، وكسر الفخار، والزجاج البركاني، وغير ذلك.

وقد قامت الإدارة العامة للآثار والمتاحف بوزارة المعارف بمسح موقع سهي، ونشرت نتائج ذلك المسح سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م. ثم عادت وأجرت فيه عدداً من الحفريات، التي نشرت نتائجها سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م. وقد أزاحت تلك النتائج الستار عن وجود استيطان قديم مكثف في الموقع، ولكن لم يعثر فيه على وحدات معمارية واضحة غير مجموعة كبيرة من الأكوام الصخرية. وهناك خندق اكتشف بالمصادفة، وبعمق ٢,٥م، وفيه ظهرت أساسات معمارية بارتفاع ٣٠-٤٠سم.

وتُعد المعثورات الأثرية التي وجدت في موقع سهي في غاية الأهمية والتنوع، حيث عُثِر على عدد كبير من كسر الأواني الفخارية، منها بقايا الجرار، وسلطانيات، وزبديات، وحياسي، وفناجين، بعضها مزخرفة.

كما عثر على أوان مصنوعة من الحجر الصابوني الذي تشتهر به المنطقة حتى اليوم، وعثر أيضاً على مطاحن حجرية مصنوعة من أنواع مختلفة من الأحجار البركانية، وغير البركانية، بعضها ما يزال في صورته الكاملة. ومن بين المعثورات كذلك بعض الأختام النحاسية، وبقايا أسلحة قوامها الرماح والسيوف ونحوها، يضاف إلى ذلك وجود بقايا آنية وأدوات مصنوعة من الزجاج البركاني المعتم. والخلاصة أن موقع سهي هو من المواقع الأثرية المهمة التي تحتضن موجودات أثرية تعطي صورة واضحة المعالم لنمط حياة إنسان المنطقة في تلك العصور الموغلة في القدم.

أوان فخارية من موقع سهي

سَيْسَد

يقع جنوب شرق الطائف في منطقة مكة المكرمة، على خط الطول ٣٠َ ٤٠ْ شرقاً ودائرة العرض ١٩َ ٢١ْ شمالاً، ولكون الطائف منطقة زراعية قديمة -إذ كانت ثقيف وقريش تتنازعان استثمار الأراضي الزراعية فيها- أنشئت فيها السدود المختلفة.

وقد قامت الإدارة العامة للآثار والمتاحف في الأعوام ١٩٧٩-١٩٨١م بمسح بعض السدود وتسجيلها. ومن أهمها سد سيسد، ويعود بناؤه إلى الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان #، ويبلغ طول السد ٥٨م وعرضه ١٠,٤م وارتفاعه ٨,٥م، وتقدر طاقته التخزينية بحوالي ٥٠٠,٠٠٠م٣. وشيد من الحجارة الكبيرة، مبنية من مداميك أفقية بالمونة. ولمتانة السد، فإنه ما يزال محافظاً على تماسكه على مر العصور.

ومن أبرز معالم السد نقش على واجهة إحدى الصخور، كتب بالخط الكوفي ويحمل اسم الخليفة معاوية بن

أبي سفيان، واسم بانيه، وكاتب النقش، وهو على النحو التالي:

«هذا السد لعبدالله معـوية [معاوية] أمير المؤمنين بنيه [بناه] عبدالله بن صخر بإذن الله لسنة ثمن [ثمان] وخمسين اللهم اغفر لعبدالله معوية [معاوية] أمير المؤمنين وشده وانصره ومتع المؤمنين به كتبه عمرو بن حباب».